الدرس العاشر: الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية

المماثلة الصوتية:

أهداف الدرس:

-يوظف الطالب مكتسباته القبلية ليستنتج مفهوم المماثلة الصوتية.

-يضبط الطالب المفهوم الدقيق للمماثلة.

-يستنتج الطالب أسباب حدوث المماثلة الصوتية.

-يتعرّف الطالب على أنواع المماثلة المختلفة، ممثلا لكل ذلك بالقرآن الكريم.

الدرس:

تمهيد: إنّ أصوات العربية حالها حال مستعمليها؛ يجاور بعضها بعضا، ويؤثر بعضها في بعض، فيتماهى مطابقا الصوت المؤثر حينا، ويكتفي باكتساب بعض صفاته حينا آخر. وهذا الدرس معقود لتبيان ذلك بدءا بتحديد مفهوم المماثلة.

مفهومها:

أ/ لغة: المماثلة لغة من ماثل يماثل مماثلة: شابه وشاكل. (ينظر: لسان العرب لابن منظور، والوسيط معجم مجمع اللغة العربية)

ب/ اصطلاحا: هي تأثر صوت بصوت مجاور بحيث يكتسب منه بعض خصائصه، وصفاته النطقية. أو يفقد -الصوت المتأثر -بعض خصائصه الأصلية ليماثل بذلك أحد الأصوات المجاورة. (ينظر: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية لسمير شريف إستيتية). أو هي:" التعديلات التكيفية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى" (الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل).

في الحقيقة إن أكثر التغيرات أو الظواهر الصوتية كالإبدال، والإدغام، والقلب، والإمالة، والإتباع، وغيرها تحدث في إطار المماثلة الصوتية؛ وهي سعي الأصوات المتجاورة لأن تماثل بعضها بعضا. والمسوّغ العام -السبب أو الدافع -هو تقارب الأصوات المتجاورة من حيث الصفة والمخرج طلبا للتجانس، والانسجام؛ أي: للخفة. قال

ابن الجزري عند الحديث عن سبب الإمالة: «سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة. والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع». (ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري). أي: إن إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء لِتُمَاثِلَاهُما إنما هو لأجل الخفة والتيسير.

أما إذا عدنا إلى تراثنا العربي فسنجد أكثر من مصطلح للتعبير عن المماثلة؛ عبر عنها سيبويه بالمضارعة، وابن جني بالتقريب، وابن يعيش بالتقريب والتجنيس، والتشاكل. (ينظر: المماثلة الصوتية في اللغة العربية لشادي مجلي عيسى سكر).

تطبيق: أمثلة للمماثلة:

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ البقرة/33. أبدلت الهمزة في قراءة ابن عامر بخلاف عنه ياء لأجل التماثل الصوتي؛ ذلك أن الباء مكسورة، والهمزة ساكنة، فأبدلت ياء لتلائم الكسرة. كما أبدلت ضمة الهاء كسرة أيضا للتماثل الصوتي لأن الياء تلائمها الكسرة فصارت (أنبِيهِم).

﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ المائدة/2. أصل (اصطادوا) (اصتادوا)وهي تاء الافتعال. فقلبت طاء لتماثل الصاد في إطباقها، واستعلائها، وتفخيمها. فهي صوت ضعيف مقارنة بالصاد لذا سعت لتماثلها في قوتها. والصوت القوي يؤثر في الضعيف في إطار قانون المماثلة الصوتية.